

Literary Citations in the Correspondences and Letters of Imam Mohammed Bin Abdullah Al-Khalili and their Contextual Indications "Poetry as a Sample"

Dr. Badar Bin Said Al-Salhi

SULTANATE OF OMAN – SOHAR UNIVIRSTY

Received: 8/1/2020
Revised: 16/2/2020
Accepted: 14/3/2020
Published online: 17/3/2020

* Corresponding author:

Email:
bs.salhi@gmail.com

Citation: AL-SALHI.B.(2020). *Literary Citations in the Correspondences and Letters of Imam Mohammed Bin Abdullah Al-Khalili and their Contextual Indications "Poetry as a Sample"* International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 2(1).
<https://doi.org/10.65811/218>



©2020 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.
<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

International Jordanian journal
Aryam for humanities and social
sciences: [Issn Online 2706-8455](https://doi.org/10.65811/218)

Abstract: This study aimed at investigating the poetry citations included in the correspondences and letters of Imam Mohammed Abdullah Al-Khalili by addressing his official and unofficial correspondences, as well as his jurisprudence (Fiqh) and religious correspondences in order to track the origin of those citations by identifying the poet, poem, and its literary era. The study also addresses the contextual indications of the citations and matches them with the indications of the original texts.

Keywords: Citations, Poet, Imam.

الشواهد الأدبية في جوابات وخطابات الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، ودلالاتها
السياقية "الشعر أنموذجاً"

د. بدر بن سعيد بن شيخان الصالحي

الملخص: هدفت الدراسة إلى استقصاء الشواهد الشعرية المضمنة في خطابات وجوابات الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وذلك من خلال استقصاء مراسلاته الرسمية وغير الرسمية، بالإضافة إلى جواباته الفقهية والدينية، وذلك من أجل الوصول إلى المصادر الأصلية لتلك الشواهد، من خلال البحث عن الشاعر، والقصيدة، والعصر الأدبي لتلك القصيدة، إضافة إلى معرفة الدلالات السياقية للشواهد، ومطابقتها مع الدلالات التي يشير إليها النصوص الأصلية، وقد توصلت الدراسة إلى (٣٨) شاهداً، لـ (٢٤) شاعرًا من عصور أدبية متعددة، ضمنها الإمام في خطابه وجواباته بصور متعددة.

الكلمات المفتاحية: الشاهد، الشاعر، الإمام.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ونشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد،

لا شك بأن الموروث الأدبي بفنونه المتعددة قد لعب دورا مهما في دعم الكتابات العلمية والأدبية عبر العصور الأدبية المتعاقبة، ولقد دأب الشعراء والأدباء والقادة والزعماء إلى مزج كتاباتهم وخطاباتهم بتلك الموروثات الأدبية، فأضافوا إليها قوة في المعنى، وحسنا في السبك والبلاغة، ولم يكن أهل عمان بمنأى عن الساحة الأدبية، بل خرج من رحم عمان الكثير من رواد الأدب الذين يشار إليهم بالبنان، واهتم الكثير من قادتها بالأدب، فمنهم الشاعر والأديب، ومنهم المستأنس والمتذوق، ومن أولئك القادة، الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، لم يكن الإمام الخليلي شاعراً ولم يُعهد عنه أنه كتب شعراً، إلا أنه كان يستأنس بالشعر ويتذوقه وينقده، وقد برز اهتمامه بالشعر في مجموعة من خطابه وجواباته، حيث كان يضمن في بعض جوابالاته وخطابه شواهد من الشعر العربي، وكان يتفنن في طريقة تضمينه لتلك الشواهد.

ومن هذا المنطلق، أخذت هذه الدراسة زمام المبادرة في سبر أغوار تلك الجوابات والخطابات لإخراج الشواهد المضمنة فيها وجمعها وتحقيقها؛ تسهيلاً على القراء وطلبة العلم والباحثين، والله نسأله التوفيق والسداد.

الإمام محمد بن عبدالله الخليلي^(١)

الإمام محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي، هو أحد أئمة عمان في تاريخها الحديث، تم انتخابه ليكون إماماً على عمان خَلَفًا لصاحبه ورفيق دربه لإمام سالم بن راشد الخروصي، وذلك بعد استشهاد الإمام سالم بن راشد بثلاثة أيام، وبالتحديد، في يوم الجمعة، الثامن من شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٨هـ، الموافق له: ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٢٠م، وبقي إماماً على عمان الداخل حتى وفاته في يوم الإثنين ٢٩ من شهر شعبان ١٣٧٣هـ، الموافق له: الثالث من شهر مايو/ أيار ١٩٥٤م.

وُلد الإمام الخليلي في عام ١٢٩٩هـ على المشهور، فأخذ العلم عن والده وعن عمه أحمد، ثم انتقل إلى ولاية القابل من محافظة الشرقية، فالتحق بمدرسة الإمام نور الدين، عبدالله بن حميد

^(١) الصالحي، بدر بن سعيد، (٢٠٢٠)، تكوين الشخصية القيادية في الفكر التربوي للإمام محمد بن عبدالله الخليلي. (رسالة ماجستير). جامعة صحار، سلطنة عمان.

السالمي، فبقي فيها زمناً، فتفوق في تحصيل العلم حتى فاق أقرانه، وشهد بذلك القريب والبعيد، وبعد مبايعته للإمامة، أنشأ مدرسة في عاصمة الإمامة نزوى، فكانت كعبة قصّاد العلم من عمان ومن خارج عمان، فتخرج منها الكثير من طلبة العلم، الذين أصبحوا يتربعون مناصب قيادية وقضائية وتربوية سامية في دولته ودولة خَلَفِهِ الإمام غالب بن علي الهنائي، بل وفي حكومة السلطان سعيد بن تيمور وخَلَفِهِ قابوس بن سعيد، وما زالت عمان وأهلها يقتبسون من ذلك النور المتوقّد حتى يومنا هذا.

الاستشهاد في الأدب العربي

مفهومه

الاستشهاد لغة: كلمة مزيدة بستة أحرف، جذرها المعجمي هو الفعل الثلاثي شَهِدَ، ومعنى "ش ه د" هو الحضور والعلم والإعلام.^(٢)

وفي الاصطلاح عرّفه محمد عيد في كتابه الرواية والاستشهاد بأنه: عملية منهجية، أو طريقة مخصوصة في التأليف، تقوم على جلب أو استحضار أو استدعاء شاهد منثور، أو شاهد منظوم في سياقه، مؤسس على شاهد مستشهد به، ومستشهد، ومستشهد له، والجامع بين مكوناته هذه علاقة انسجام ومشابهة؛ طلباً إما للتمثيل، أو للبيان، أو للاستدلال، أو للاحتجاج، أو للتأكيد.^(٣)

مصادره

يقتبس الأدب العربي شواهد من مصادر متعددة، وكل الشواهد مرجعها إلى ثلاثة منابع رئيسة، أولها القرآن الكريم، وهو المصدر الأول والدستور الأمثل لرواد الأدب العربي بشتى فنونه وصوره، والمنبع الثاني هو سنة المصطفى ﷺ الثابتة، وهي المصدر التالي الذي يلي القرآن الكريم، والسنة النبوية تستقي منهجها من القرآن الكريم، والمنبع الثالث الموروث الأدبي بشعره ونثره، والمكتبة العربية حافلة بذلك الموروث الأدبي، ولم يدّخر العلماء والأدباء جهداً في سبيل إخراج تلك الموروثات من مصادرها المتفرقة منذ العصور المتقدّمة حتى يومنا هذا، وما زالت كنوز الأدب بفنونه المتعددة ترفد المكتبة العربية، وقد صنّفت مصادر الأدب العصور الأدبية إلى ستة عصور على المشهور، وهي: الجاهلي، وصدر الإسلام، والأموي، والعباسي، والدول المتتابعة، والعصر الحديث^(٤)، وقد اعتمدت هذه الدراسة هذا التقسيم، بغض النظر أكان الشاعر قد تأثر بأدب تلك الحقبة أو لم يتأثر به، وإنما المعتمد هو الفترة الزمنية التي عاشها ذلك الشاعر أو الأديب.

^(٢) ابن فارس، احمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ج٣، ص٢٢١.

^(٣) محمد عيد، الرواية والاستشهاد في اللغة، ص. ١٠٦.

^(٤) جمعة، زروق. (٢٠٠٩). الاستشهاد في كتاب المقتضب للمبرد. (رسالة ماجستير). جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.

أركانه

للاستشهاد ثلاثة أركان لا بدّ من توافرها، وهي الشاهد ، ومصدر الشاهد والمستشهد، فالشاهد يتمثل في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو كلام العرب شعره ونثره، ومصدر الشاهد يتمثل في الرّاي أو الشاعر أو المصنّف، والمستشهد هو المستحضر أو المستخدم للشاهد، ويمكن إضافة ركن رابع، وهو المستشهد له^(٥)، وهي القضية التي ناسبت دلالة الشاهد،

وتوضح العلاقة بين أركان الاستشهاد، فعلاقة مصدر الشاهد بالشاهد تتمثل في الرواية والتوثيق، فالمصدر روى الشاهد أو سمعه فوثّقه، وقد يكون مصدر الشاهد من توثيق قائل ذلك الشاهد أو ناظمه، وقد يكون من توثيق شخص آخر سمعه من صاحبه، وقد يكون المصدر هو لسان القائل وغير موثّق، وأما عن علاقة المستشهد بمصدر الشاهد، فهي علاقة نقل، إما أن تكون عن طريق السماع أو عن طريق القراءة، وعلاقة المشتشهد له بالمستشهد إما أن تكون علاقة تمثيل أو إثبات أو مجرد إضافة بلاغيّة كأداة من أدوات التحسين البلاغي، وتتمثل علاقة المستشهد به والمستشهد له في اتفاق الدلالة، وثمة علاقة بين المستشهد والمستشهد به، متمثلة في الضبط والالتزام، ومعنى ذلك أن المستشهد يجب عليه أن يضبط الاستشهاد من خلال التأكد من الاتفاق الدلالي بين المستشهد به والمستشهد له، وفي حالة أن الاستشهاد بغرض الإثبات فينبغي له أن يلتزم بالشروط التي وُضعت لصحة ذلك الاستشهاد.

الاستشهاد عند الإمام محمد بن عبدالله الخليلي

من خلال دراسة خطابات وجوابات الإمام الخليلي، المتضمنة للشواهد الشعرية، يظهر أن الإمام لم يكن شاعرًا، ولكن له علاقة بالشعر، فكان يستمع إلى الشعراء ويشجّعهم، وينقد الشعر نقدًا بناءً، فتُذكر له مواقف مع الشعراء تُثبت اهتمامه بالشعر، فيروى أن رجلاً مسجونًا بحصن نزوى، وكان الإمام من عادته يطلّ على المساجين كل يوم فسمع أحد السجناء ينشد:

لذ بالإله ولا تلذ بسواه من لاذ بالملك الجليل كفاه

فقال له الإمام: كفاه كفاه، فأمر بإطلاقه من السجن ثم قال: إنك شاعر، ونريد أن نسمعنا بعض الشعر، فقال:

ألا يا عبلُ ضيعتِ العهودا وأمسى حبلك الماضي صدودًا

فقال له الإمام لا يجب عليها أن تضيع العهود، وكفانا من شعرك، إذ كان الإمام لا يحب شعر

(٥) السلمي، عبدالرحمن رجاء الله. (٢٠١٦). منهج ابن الأثير في تناول الشاهد الشعري. مجلة كلية الآداب واللغات. (١٩) ١، ١٧٧-٢٣٧.

الغزل^(٦) ، ويروى أنه جاء رجل إلى الإمام يهنئه على صحته من مرض أصابه، وقد نظم في ذلك قصيدة، وكان هذا الرجل غير مجيد للشعر، وخصوصًا من جانب النحو، فاستأذن الإمام في قراءة القصيدة فأذن له، فقرأها وهو يترنم بها، فلما فرغ من قراءتها قال الحاضرون من القضاة والطلبة: هذه القصيدة غير مستقيمة من جهة النحو، فبادرهم الإمام، رحمه الله، على إثر انتقادهم قائلاً: هل تحتاج الحلوى إلى ملح؟ قالوا: لا، فقال: قصيدته مثل الحلوى^(٧)، ومن خلال تقصّي الشواهد التي ضمّنها في خطابه وجواباته، يمكن تقسيم صور الاستشهاد التي اتبعها إلى خمس صورٍ مختلفة.

الصورة الأولى: يستشهد ببيت شعري فيسوقه كاملاً كما هو دون تصريف فيه.

في هذه الصورة كان الإمام يسوق الشاهد كما هو في مصدره الأصلي، دون إحداث إي تغيير في مبناه ولا معناه، وقد توصلت الدراسة إلى (١١) استشهاداً، ومن ذلك قوله لأحد قضاته عندما أرسل له رسالة يشكو فيها سوء الحال:

شكا إلي جملي طول السرى .. صبراً جميلاً فكلانا مبتلى^(٨)

وهو شاهد من الأدب العربي، يُنسب للشاعر محمد بن ذؤيب الراجز، والملقب بالعماني، والذي عاش خلال العصرين الأموي والعباسي، وبعض المصادر تنسبه إلى الشاعر العباسي ملبد بن حرملة، وقد وردت كلمات وصور الشاهد بألفاظ متعددة، منها^(٩):

شكا إليّ جَمَلِي طول السرى ... يا جملي ليس إليّ المشتكى

شكا إليّ جملي طول السرى ... صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى

يشكو إليّ طول السرى ... صبراً جُميلي فكلانا مبتلى

وقد أورد الإمام هذا الشاهد وفق لفظ أشهر الروايات، ولم يغيّر شيئاً في مبناه ولا معناه، ومن خلال السياق يظهر أن الإمام يطلب من القاضي الصبر والتحمل، وأن الوضع الذي فيه الإمام ليس أفضل حالاً من من الوضع الذي هو فيه، وهذه الدلالة عن الدلالة التي يشير إليها النص المستشهد به من خلال السياق.

وجاء أحدهم إلى الإمام، وقال له: إن أحد القبائل تعد العدة لإحداث فتنة، ويحثه على القيام عليهم، فرد عليه:

^(٦) الصالح، تكوين الشخصية القيادية في الفكر التروى للإمام محمد بن عبدالله الخليلي، (مرجع سابق)، ص ١٩٢.

^(٧) المرجع السابق، ص ١٨٦.

^(٨) الحارثي، سعيد بن حمد. اللؤلؤ الرطب في إبراز مستودعات القلب، ٢٠١٣، ص ٢٢١.

^(٩) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٩٤ ج ٥، ص. ١٠٤.

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبين إلا خالي البال^(١٠)

والشاهد مُختلفٌ في أصله، وقد رجّح بعضهم أنّه للشاعر الجاهلي الزير سالم، والشاهد في المصادر الأدبية يتكوّن من بيتين وهما:

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبين إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها .. يغيّر الله من حال إلى حال

وهذا من الأبيات المشهورة والمتداولة لدى الشعراء والأدباء وعامة الناس، وبعضهم تعرّض لها بتخميس كالشاعر العماني محمد بن شيخان السالمي (ت: ١٩٢٧)، وبعضهم تصرّف في مبناه، فغيّر بعض كلماته، وجلّها تحمل نفس الدلالة^(١١)، وقد ساق الإمام هذا الشاهد كما هو بدون إحداث أي تغيير في معناه ومبناه، ومن خلال سياق الرواية، يظهر أن الإمام كان يريد به دعوة الرجل إلى التآني وضبط النفس، والقارئ للبيت يفهم أن الشاعر كان يريد به ضبط النفس وعدم التعجّل، بنفس الدلالة التي استخدمها الإمام في سياق استشهاده.

وتقدّم أهل أحد الولايات التابعة لدولة الإمام بطلب نقل الوالي الذي ولّاه عليهم، بسبب شدته وصرامته، والإمام يعرف حالهم وقد اختاره لأنه الرجل المناسب لهم، فردّ عليهم:

ولم تكّ تصلح إلا له .. ولم يك يصلح إلا لها^(١٢)

والشاهد للشاعر العباسي أبي العتاهية من قصيدته الذي قالها مادحًا الخليفة المهدي التي والمستهلّة بـ (ألا ما لسيدتي مالها)، حيث قال في البيت الثالث:

أنته الخلافة منقادةً ... إليه تجرّج أذيالها

فلم تك تصلح إلا له .. ولم يك يصلح إلا لها^(١٣)

فالدلالة في سياق هذه الرواية لا تخرج عن الدلالة التي أراد بها أبو العتاهية في سياق هذه قصيدته، فالإمام بهذا البيت مدح واليه وبين لمن جاءه من الناس أنه الرجل المناسب في المكان المناسب، ولا مجال لنقله عنهم، والشاعر أراد بالأبيات مدح الخليفة، وبين فيها بأنّه هو الرجل المناسب للخلافة ولا يصلح لهذا الشرف سواه.

ووجّه أحدهم للإمام استفسارًا في مسألة فقال: "إن المصائب في الأموال والأولاد لا تختصّ بالمنافقين، بل يكون في أولال المسلمين وأولادهم أعظم" وذلك تعليقًا على الآية "فلا تعجبك

^(١٠) الخصيبي، محمد بن راشد. الزمرد الفائق في الأدب الرائق. (ط٣). وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: ٢٠١٦، ج١، ص. ٤٥.

^(١١) مواسي، فاروق. جولة أدبية مع دع المقادير تجري في أعنتها. مقالة منشورة في موقع ديوان العرب، أكتوبر ٢٠١٦، www.diwanalarab.com.

^(١٢) الخصيبي، الزمرد الفائق، (مرجع سابق)، ج١، ص ٤٤.

^(١٣) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم. ديوان أبي العتاهية، بيروت: دار بيروت للنشر: ١٩٨٦، ص ٣٧٥.

أموالهم ولا أولادهم"، فرد عليه الإمام: إن المنافقين يؤلمهم ذلك؛ لأن ذهاب ذلك لا يكون في مقابلة أمر أحبّ لديهم منه، ثمّ علّق بقوله: " ونقول يكفي تعذيب المنافقين كون أنهم مفارقون للأوال والأولاد لا محالة

أشدّ الغم عندي في سرور .. تيقن عنه صاحبه انقالا
أما المؤمنون فيريحهم ما يجدونه من الروح عند تذكّر ما يقابل ذلك من الإلتلاف والفرق،
يهون علينا أن تصاب نفوسنا .. وتسلم أعراضُ لنا وعقول
ومن يعشق يلذ له الغرام

هل أنت إلا أصبع دमित .. وفي سبيل الله ما لقيتي
ويكفيك ما يتمنّاه الناس من الشهادة وبقر البطون وجذع الأنوف،
تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحوراء لم يغله المهرُ
ونشاهد الناس يبذلون الأموال والأنفس لنيل المحامد...^(١٤)

في هذا الجواب ضمّن الإمام خمسة شواهد شعرية مختلفة الصور، ويدخل في ضمن هذه الصورة شاهدان، الأول:

أشدّ الغم عندي في سرور .. تيقن عنه صاحبه انقالا
يُنسبُ هذا الشاهد إلى الشاعر العباسي أبي الطيّب المتنبي، قصيدته المستهله بـ (بقائي شاء ليس هُمُ انتقالا)، وقد ضمّنه الإمام في جواب المسألة كما هو في الأصل دون أن يتصرّف في مبناه، وسياق التضمن يدل على توافق بين الدلالة التي يشير إليها النص المستشهد به، وبين الدلالة التي يشير إليها الإمام في سياق جوابه، إذ أن البيت يدل على أن السرور الذي يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندي أشد الغم، يترقب زواله فلا يطيب له ذلك السرور^(١٥)
والشاهد الثاني:

هل أنت إلا أصبع دमित .. وفي سبيل الله ما لقيتي
يُنسب هذا الشاهد للنبي ﷺ، ومناسبته أنه أصيب بحجر عندما كان في غار ثور فأنشد هذا البيت^(١٦)، وقيل أنه للصحابي الجليل عبدالله بن رواحة، عندما أصابته حجر في معركة مؤتة، وربما قول عبدالله بن رواحة اقتبسه من قول النبي ﷺ، وربما قاله النبي ﷺ نثرًا، فنظمه عبدالله بن رواحة شعرا، والله أعلم.

^(١٤) الخليلي، محمد بن عبدالله. الفتح الجليل في أجوبة الإمام أبي خليل. ذاكرة عمان، سلطنة عمان: ٢٠١٦، ص ١١٢.

^(١٥) البرقوقي، عبدالرحمن. شرح ديوان المتنبي. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: ٢٠١٤، ص ١١٣١

^(١٦) الكندي، ماجد بن محمد. (٢٠٢٠). شذا من السيرة. مقطع مرئي منشور على منصة يوتيوب. www.youtu.be/cRbv3gvNY90

أما عن الدلالة السياقية فلا تختلف دلالة المستشهد به عن دلالة سياق نص جواب الإمام، فقد ساق الإمام البيت في سياق كلامه عن الجهاد في سبيل الله، والتضحيات من أجل الفوز برضوان الله، والنصّ يشير إلى هذه الدلالة.

وسُئل الإمام عن الطريقة الصحيحة لصلاة العيد، فأجاب بكلام طويل ساق فيه الأدلة، وضمن كلامه قال: "ومن لم يطلع من هؤلاء على حديثٍ، فيسلّم لمن اطلع على ذلك ممن هو أعلم بالسنة وأحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ، ولا عبرة لمن لم يطلع.

وإذا لم تر الهلال فسلّم .. لأناس رأوه بالإبصار^(١٧)

لم تذكر المصادر - حسب اطلاع الباحث - أصل هذا الشاهد الشعري، إلا أنها تذكره كما ساقه الإمام تمامًا، وساق نص الجواب

يدل على تطابق بين المستشهد له والمستشهد به من حيث الدلالة، إذ أن لغة الشاعر كانت سهلة ليس فيها غموض.

وأرسل الإمام رسالة إلى أحد رجال دولته فقال ضمن رسالته: " وأقول: يا محمد؛ مَنْ لا يتحمّل لصاحبه يبقى بلا صاحب، إذ لا يخلو المرء من زلة.

ولست بمستبقي أخًا لا تلمّه

على شعث، أيُّ الرجال المهذب

كفى المرء نبلا أن تُعدّ معايبه..."^(١٨)

في هذه الرسالة شاهدين، يناسل هذه الصورة الشاهد الأول، أما الشاهد الثاني فيناسب الصورة الثالثة، فالشاهد الأول:

ولست بمستبقي أخًا لا تلمّه على شعث، أيُّ الرجال المهذب

يُنسبُ هذا الشاهد إلى الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني، في رسالة اعتذار وجهها إلى النعمان بن المنذر^(١٩)، وساق الرسالة توجي إلى تطابق بين دلالة المستشهد به ودلالة سياق خطاب الإمام، فالإمام يدعو واليه إلى تحمّل صاحبه على عيوبه ومساويه، ويبين له أنه من لا يتحمّل أصحابه ويقبلهم على عيوبهم سيبقى بلا صاحب، وساق البيت استشهاده لصحة كلامه فيما يظهر.

وأرسل أحد الناس رسالة إلى الإمام، كتب فيها كثيرا من العيوب الذي ينتقدها على أحد قضاته، فأمسك الإمام بالرسالة، وعندما زار الولاية التي فيها القاضي، طلب من أعيان تلك الولاية أن

^(١٧) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص. ١٤٩.

^(١٨) الخليلي، محمد بن عبيد الله. مراسلات مرقونة. ص. ٣١٢.

^(١٩) الزبيدي، مرتضى. والزبيدي السيد محمد. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. دار الكتب العلمية: ٢٠١٦، ج٧، ص ١٣٢.

يتحدثوا بما يعرفونه عن القاضي، وقرأ عليه ما كتبه ذلك الرجل، فظهر له كثيرا من التزوير والكذب على القاضي، فأمر الإمام له بالسجن وقال له:

إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة^(٢٠)

وهذا البيت يُنسب للفضل بن العباس (ت: ٩٦)، والعقرب في الشاهد تشير إلى عقرب بن أبي عقرب، المعروف بالمماطلة في الاقتضاء، والبيت ضمن أبيات قالها الفضل فيه:

قد تجرت في سوقنا عقرب .. لا مرحبا بالعقرب التاجرة

كل عدو يُتقى مقبلا .. وعقرب يُخشى من الدابرة

إن عادت العقرب عدنا لها .. وكانت النعل لها حاضرة^(٢١)

ومن خلال السياق يظهر أن دلالة نص الخطاب تتطابق مع دلالة المستشهد به، فمثل الإمام موقفه مع الرجل كموقف الفضل مع عقرب، وفي ذلك إشارة إلى أن من يفعل بفعلك سينال ما نلت، وإن عُدت عدنا.

وأرسل الإمام إلى أحد الولايات رسالة جوابية، جاء في ضمنها: " ... وإن كنتم تعنون (فلان) فهو عصام لا عاصم له كما قال الشاعر:

نفس عصام سؤدت عصاما .. وعلمته الكرّ والإقداما

وصيرته بطلاً هماما .. حتى علا وجاوز الأقواما"^(٢٢)

والشاهد هما بيتان للشاعر الجاهلي النابغة الذبياني^(٢٣)، ودلالة السياق تشير إلى توافق بين المستشهد به وسياق نص الخطاب، حيث ساق الإمام الشاهد في سياق المدح والإطراء، وعصام المقصود في الشاهد هو عصام بن شهبر، يضرب به المثل في النباهة.

وأرسل الإمام إلى أحد رجال دولته قائلاً: "سلام عليكم ورحمة الله. أمّا بعد؛ وصلني كتابك وفهمته. وذكرت إطفاء الفتن ما بين فلان وفلان بواسطة العقلاء، فسرنا ذلك. وهكذا ينبغي على عقلاء الأقطار. وذكرت أمر عبد العزيز والمعاول؛ فعليه نقول:

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت في مرادها الأجسام"^(٢٤)

والشاهد لأبي الطيب المتنبي، من قصيدته التي يمدح فيها سيف الدولة، بمناسبة رحيله عن

(٢٠) الطوقي، خالد بن محمد. النفائس. مكتبة روائع نور الاستقامة، سلطنة عمان: ٢٠١٩، ص ٣١.

(٢١) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار المعارف، القاهرة، ص ٣٠٣٩.

(٢٢) بني عرابية، يحيى بن أحمد. أنوار الأبرار وإشرافات الأخيار. (بحث مرقون)، ٢٠٠٩، ص. ١٣٤.

(٢٣) الميداني، أحمد بن محمد. مجمع الأمثال. تحقيق، محمد محي الدين. دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٣٣١.

(٢٤) الخليلي، مراسلات، (مرجع سابق). ص ٣٠٠.

إنطاكية، والتي استهلها بقوله: (أين أزمعت أيّ هذا الهمام؟)^(٢٥)، وقد ضمّن الإمام البيت في رسالته كاملاً كما في أصله، ومن خلال سياقه يظهر أن المقصد من ذلك علو همة عبدالعزيز المذكور في نصّ الخطاب.

الصورة الثانية: يستشهد ببيت شعري فيسوقه كاملاً مع تصرّف في مبناه.

في هذه الصورة يسوق الإمام الشاهد من الشعر العربي ويتصرّف في بعض كلماته فيغيّرّها دون إحداث تغيير في المعنى العام للشاهد، ربما لتسهيل فهم المقصود، أو لاعتقاده أن التغيير الذي أحدثه يعطي الشاهد قوة بلاغية، وقد توصّلت الدراسة إلى خمس استشهدات، ومن ذلك، قال له أحد ذوي الواجهة: رأيتك اليوم فارغاً، فرد عليه الإمام بالبيت التالي:

إن ترى جسمي بحالي ساكناً .. فلعمري إن قلبي في اضطراب^(٢٦)

والبيت منسوب إلى الشاعر ابن المقرّب العيوني (ت: ٦٣٠)، من قصيدته الموسومة بـ (خلياني من وطء ووساد)، حيث قال في البيت (٣٩):

إن ترى شخصي لأمرٍ ساكناً .. فلعمري إن قلبي في طراد^(٢٧)

وهنا يظهر تصرّف الإمام في مبنى البيت بتغيير كلمة في العجز وكلمة في الصدر، دون الإخلال بالمعنى العام للبيت، ودلالته من خلال السياق المروي عن الإمام الخليلي تبين أن الإمام وإن كان في ظاهره فارغاً، إلا أن فكره مشغول بأمور دولته وقضايا رعيته.

ووقع خصام بين رجلين، نزل أحدهما ضيفاً عند الآخر فحدث بينهما تشاجر فرفعت القضية إلى الإمام، فأرسل من يكشف عن وقائع الخصام، فبان للإمام حقيقة خطأ الرجل في حق ضيفه فقال:

خُلقوا وما خُلقوا لمكرمة .. وكأنهم خُلقوا وما خُلقوا

رُزقوا وما رُزقوا لبسط يد .. وكأنهم رُزقوا وما رُزقوا^(٢٨)

هذه الأبيات لم تذكر المصادر الأدبية قائلها، إلا أن ما ذكرته المصادر انطبق على البيت الأول أما البيت الثاني فيظهر فيه تصرّف الإمام، إذ أن المتداول في المصادر الأدبية:

رُزقوا وما رُزقوا سماح يد .. وكأنهم رُزقوا وما رُزقوا^(٢٩)

وفي سياق هذه الرواية يظهر أن الإمام يقصد من استشهاده بهذا البيت مذمة ذلك الرجل الذي لم يُنزل ضيفه المنزل الذي يليق به، فضلاً عن إكرامه له.

^(٢٥) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ١٢٢٥.

^(٢٦) الحارثي، اللؤلؤ الرطب، (مرجع سابق) ص ٢٢١.

^(٢٧) العيوني، ابن المقرّب. ديوان ابن المقرّب العيوني وشرحه. تحقيق د. أحمد موسى الخطيب، (٢٠٠٢)، ص ٣٣٥.

^(٢٨) الراشدي، يحيى بن ناصر. أخبار ومراسلات الأئمة المتأخرين. كتاب مخطوط، ١٤٠٦ هـ، ص ٦٠.

^(٢٩) عتيق، عبدالعزيز، علم البديع. دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ص ٨٠.

وأرسل الإمام رسالة نصّح لأحد الناس، بسبب سوء ظنه بأحد الناس، وبَيّن له حقيقة الأمر وقال في نهاية الرسالة: "وأولاد حميد فضلهم ومعروفهم لا يُنكر (وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها). أنزّه نفسي عن مقال بغيبة .. وكل اغتياب جهد من لا له جهد"^(٣٠) في هذه الرسالة شاهدين، أما الشاهد الأول فيناسب الصورة الرابعة، ويناسب هذه الصورة الشاهد الثاني:

أنزّه نفسي عن مقال بغيبة .. وكل اغتياب جهد من ما له جهد
يرجعُ أصل هذا البيت للشاعر العباسي أبي الطيب المتنبي، من قصيدته التي استهلّها بـ (أقلّ فعالي بله أكثره مجدّ) إلا أن الإمام تصرّف في مبناه، حيث قال المتنبي في البيت (١٤) من القصيدة: وأكبر نفسي عن جزاءٍ بغيبة .. وكل اغتياب جهد من ماله جهد^(٣١)
وفي رد على أحد المسائل الفقهية ساق الإمام خمسة شواهد، ثم التطرق إلى اثنين منها في الصورة الأولى، ويتناسب اثنين منها مع هذه الصورة، الأول:
يهون علينا أن تصاب نفوسنا .. وتسلمُ أعراضُ لنا وعقول^(٣٢)
يرجعُ أصل هذا البيت إلى قصيدة الشاعر العباسي أبي الطيب المتنبي، التي استهلّها بـ (ليالي بعد الظاعنين شُكُولُ)، إلا أن الإمام الخليلي تصرّف في جزء من صدر البيت، فوضع (نفوسنا) مكان (جسومنا)، وأتى بـ (تسلم) بصيغة التأنيث بدل (يسلم) حيث قال المتنبي في البيت (٥٩):
يهون علينا أن تصاب جسومنا .. ويسلم أعراض لنا وعقول^(٣٣)
والشاهد الآخر:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحوراء لم يغله المهر^(٣٤)
وأصل البيت من قصيدة الشاعر العباسي أبي فراس الحمداني، المستهّلة بـ (أراك عصي الدهر شيمتك الصبر)، إلا أن الإمام أبدل (الحسنة) بـ (الحوراء)، والشاهد كما في القصيدة:
تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر^(٣٥)
وربما كان مقصد الإمام في هذا السياق الحوراء التي في جنة الخلد، والمهر هو العمل الصالح الذي يرجو به المؤمن الجزاء الأخروي.
وسُئل الإمام عن مسألة فأجاب لا أدري وقال:

(٣٠) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص. ٣٠.
(٣١) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ٣٩٣.
(٣٢) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ١١٢.
(٣٣) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ٩٢٢.
(٣٤) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص. ١١٢.
(٣٥) الدهان، سامي. ديوان أبي فراس الحمداني. مكتبة الدكتور مروان العطية، بيروت: ١٩٤٤، ج ٢. ص. ٢١٤.

وكلُّ فتى يهوى التصدّر في الورى .. ويكره لا أدري أُصيبت مقاتله^(٣٦)
وأصل الشاهد بيتين للشاعر العباسي ابن دريد، إلا أن المرويّ عن ابن دريد كما تذكره مصادر الأدب:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها .. كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يُرى متصدّرًا .. ويكره لا أدري أُصيبت مقاتله^(٣٧)
وربما أخذ الإمام البيت عن غير ابن دريد، إلا أن الباحث لم يجد في المصادر الأدبية اللفظ الذي ساقه الإمام، ولا يُستبعد أن يكون التغيير من تصرّفه.
وأرسل الإمام تعزية يواسي بها أهل أحد القضاة، فكتب في ذيل الرسالة:
سيفقدني أهلي إذا جد جدهم .. وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر^(٣٨)
والشاهد يُنسب للشاعر العباسي أبي فراس الحمداني، من قصيدته المستهله بـ (أراك عصي الدهر شيمتك الصبر) إلا أن أبا فراس قال (قومي) وليس (أهلي)، وأهلي من تصرّف الإمام كما يظهر، فالبيت كما في القصيدة:

سيفقدني قومي إذا جد جدهم .. وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر^(٣٩)
وسياق نصّ الاستشهاد يشير إلى أهميّة مكانة القاضي الراحل في المجتمع، وأن فقدته ثلّة سيشعر بها من كانوا يعيشون في كنفه، وهذه الدلالة تنطبق على الدلالة التي يشير إليها الشاعر في نص البيت.

الصورة الثالثة: يستشهد بشطر بيت فيسوقه كما هو، دون تصرّف فيه.

في هذه الصورة يستشهد الإمام بشطر بيت إما العجز أو الصدر، فيأتي به مضمنا في درج كلامه أو قد يأتي به كجواب دون أن تعليق منه، وقد توصّلت الدراسة إلى (١٣) استشهادًا، وهي أكثر الصور استخدامًا في استشهاداته، ومن ذلك كقوله لأعيان أحد الولايات التابعة لدولته: "بلغني قتل شيخكم خلفان، وقدم إلى رب كريم، (ليس الكريم عن القنا بمحرّم)..."^(٤٠)، وهو عجز بيت للشاعر الجاهلي عنتر بن شداد، من معلقته المستهله بـ (هل غادر الشعراء من متردّم)، حيث قال في البيت (٤٨):

فسككت بالرمح الأصمّ ثيابه .. ليس الكريم عن القنا بمحرّم^(٤١)

(٣٦) الشكيلي، إبراهيم بن محمد. مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم، ٢٠١٣، ص ٦٤.

(٣٧) نجيب، أحمد قيش. مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي. ج ٢. ص. ١٤٩.

(٣٨) السيابي، عبدالله بن راشد. معجم القضاة العمانيين. مكتبة خزان الآثار، سلطنة عمان: ٢٠١٧، ج ٢، ص. ١٠٩.

(٣٩) الدهان، ديوان أبي فراس الحمداني. (مرجع سابق)، ج ٢، ص ٢١٣.

(٤٠) الراشدي، أخبار ومراسلات الأئمة المتأخرين، ص ٨٦.

(٤١) الزوزني، حسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع. إحياء التراث العربي: ٢٠٠٢، ص ٢٩٥.

وهنا ساق الإمام الشاهد كما هو في المعلّقة، دون تصرّف فيه، ودلالة السياق حسب رسالة الإمام تشير إلى تطابق بينها وبين دلالة البيت، وهو أن الموت والقتل ليس مقصورا على الجبناء والضعفاء، وإنما يموت بالسيف الشجعان وأهل الوجاهة والإقدام، وليس الموت بالسيف والرمح عيبًا أو منقصة.

وأرسل الإمام رسالة لأهل أحد الولايات، قال فيها: "ولا غنى لدار عن حاكم يحكم، ولو صلح أهلها (كعفة الخود لا تغني عن الرجل).."، حيث ضمّن الإمام عجز بيت للشاعر المملوكي ابن المقرئ (ت: ٨٣٧هـ)، وهو بيت من قصيدته الوعظية المستهله بـ (زيادة القول تحكي النقص في العمل)، حيث قال في البيت الخامس:

عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة .. كعفة الخود لا تغني عن الرجل^(٤٢)

فرسالة الإمام تضمّنت العجز، وسياقها يدل على مطابقة الدلالة مع عجز البيت دون صدره، فلا قرينة في الرسالة تشير إلى الاستشارة، وإنما القصد ضرورة وجود الحاكم الذي يدير شؤون البلاد، ولو كان أهل تلك البلاد مثالا في الصلاح والالتزام.

وفي الرسالة التالية شاهدين، وهي رسالة وجهها الإمام إلى أحد رجال دولته، حيث قال له: "وأقول: يا محمد؛ مَنْ لا يتحمّل لصاحبه يبقى بلا صاحب، إذ لا يخلو المرء من زلّة.

ولست بمستبقي أخًا لا تلمّه على شعث، أيُّ الرجال المهذب

كفى المرء نُبلًا أن تُعدّ معايبه..."^(٤٣)

تم ذكر الشاهد الأول في الصورة الأولى، وينطبق على هذه الصورة الشاهد الثاني: (كفى المرء نُبلًا أن تُعدّ معايبه)، فهذا الشاهد هو عجز بيت للشاعر العباسي بشّار بن برد (ت: ١٦٧)، وينسبه بعضهم إلى الشاعر العباسي علي بن الجهم، حيث قال الشاعر:

ومن ذا الذي تُرجى سجاياه كلها .. كفى المرء نُبلًا أن تُعدّ معايبه^(٤٤)

في هذا الشاهد، ومن خلال السياق، يظهر تطابق الدلالة بين النص المستشهد به وسياق نص خطاب الإمام، فالإمام يبيّن أنه لا يخلو إنسان من عيوب، وأن من فضيلة الإنسان أن تكون عيوبه معدودة ومعروفة، إذ يوجد من الناس من عيوبهم خفية لا يعلمها إلا الله ولا يظهر للناس إلا الحسن والصلاح.

رفع أحد القضاة إلى الإمام قضية مفادها أن رجلاً ورث أموالاً كثيرة، فأنفقها هدرًا، ويطلب من

^(٤٢) ابن المقرئ، إسماعيل. ديوان ابن المقرئ. كتاب مخطوط. ص. ٥٨.

^(٤٣) الخليلي، مراسلات مرقونة، (مرجع سابق)، ص ٣١٢.

^(٤٤) درويش، محي الدين. إعراب القرآن الكريم وبيانه. دار ابن كثير، سوريا: ١٩٩٢، ص ٢٤٠.

الإمام إصدار أمر بحجر أمواله عليه، فرد الإمام على القاضي: "أماوي إن المال غادٍ ورائح"^(٤٥)، وهو صدر بيت يُنسب للشاعر الجاهلي، حاتم الطائي، من قصيدته الموسومة بـ (إن المال غادٍ ورائح)، حيث قال في البيت الثاني:

أماوي إن المال غادٍ ورائح .. ويبقى من المال الأحاديث والذكر^(٤٦)

لم تظهر الدلالة من سياق الاستشهاد مقصد الإمام بالضبط، ولكن المستشهد به يشير أن المال لا يستقر عند أحد، وإنما يأتي تارة ويذهب أخرى، وللإنسان من ماله ما أنفقه في سبل الخير، وهو الذي يُخلّد له الذكر والسمعة الطيبة.

وسأله سائل عن مسألة فساق له أدلة المرخصين والمانعين، فأجابه: "أراك يمالك قد اطلعت على أقوال العلماء، وهم البحور الزاخرات، فاشرب من عذب بحورهم، ودع الجداول، فـ (من قصد البحر استقل السواقيا)"^(٤٧)

في هذا الجواب ضمّن الإمام عجز بيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدته الموسومة بـ (كفى بك داء أن ترى الموت شافياً)، حيث قال في البيت (٢٠):

قواصدَ كافور تواركَ غيره .. ومن قصد البحر استقل السواقيا^(٤٨)

يشير هذا الاستشهاد إلى تواضع الإمام الخليلي، ويبين للسائل بأن من قرأت كتبهم ومسائلهم بحور تغنيك عن غيرهم، فيشير إلى نفسه بأنه بمثابة الساقية الصغيرة مقارنة بأولئك، فمن يصل إلى البحر سيرى أن الساقية لا تساوي شيئاً.

وكتب أحدهم للإمام يذمّ رجلاً هو عند الإمام في ثقة، فرد عليه الإمام: "وكل اغتياب جهد من ماله جهد"^(٤٩)، وقد تقدّم ذكر هذا الشاهد في موضع آخر، وبصورة أخرى، البيت كما تقدّم هو لأبي الطيب المتنبي، من قصيدته المستهلة بـ (أقلّ فعالي بله أكثره مجد) حيث قال في البيت (١٤):

وأكبر نفس عن جزاءٍ بغيبة .. وكل اغتياب جهد من ماله جهد^(٥٠)

ودلالة السياق ظاهرة، وهو قطع شأفة الغيبة، ونهي المغتاب عن الغيبة.

وأرسل إليه أحد قضاته متضجّراً من تعامل أهل الولاية التي ولّاه عليها، فرد عليه الإمام: "والجاهلون لأهل العلم أعداء"^(٥١)، والشاهد عجز بيت يُنسب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله

^(٤٥) الخصيبي، الزمرد الفائق، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٤٥.

^(٤٦) الطائي، حاتم. ديوان حاتم الطائي. دار صادر، بيروت: ١٩٨١، ص ٥٠.

^(٤٧) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ١٤٠.

^(٤٨) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ١٦٠٦.

^(٤٩) الحارثي، اللؤلؤ الرطب، (مرجع سابق)، ص ٢٢١.

^(٥٠) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ٣٩٣.

^(٥١) الراشدي، أخبار ومراسلات الأئمة المتأخرين، (مرجع سابق)، ص ٥٧.

عنه، من قصيدته المستهله ب (ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم)، حيث قال في البيت الثاني:
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه .. والجاهلون لأهل العلم أعداء^(٥٢)

ودلالة الشاهد من خلال السياق تشير إلى أن أولئك الناس لا يريدون الحق، لأنهم يجهلون، ولا غرابة أن تجد المعاداة من أهل الجهل، وفي الشاهد إشارة ضمنية إلى الصبر والتحمل. وأرسل الإمام إلى بعض رجال دولته رسالة قال فيها: " سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد؛ فكُتبتكم وصلتني، وأمرُ البدو لا ينكف ولا ينتهي، ذو شطط، (كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل). ونحن لا نحب من المسلمين إلا التصلب في الأمر، وعدم التحزب"^(٥٣)، وهذا الشاهد عجز بيت، مع إشارة تشير إلى صدره، والبيت للشاعر الجاهلي الأعشى، من معلقته المستهله ب(ودع هريرة إن الركب مرتحل):

هل تنتهون ولن ينهي ذوي شطط .. كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل^(٥٤)

والمعنى العام للبيت أن الظالم الباغي لا ينهائ شيء، كالطعن العميق الذي تغور فيه الفتيلة عندما تُدخل في الجرح، حيث إن الأطباء كانوا سابقا يستخدمون الفتيلة لسبر غور الطعن لدى المجروحين، ليعلموا قدر ضررها، وكلما كان الجرح عميقا غارت فيه الفتيلة، وبهذا وصف الإمام البدو، انهم بغاة لا ينتهون ولا يردعهم رادع، كذلك الجروح العميقة^(٥٥).

ومن ذلك أيضًا ما ورد في رسالته لأحد ولاته، يدعوه فيها بالقيام على أحد القبائل المعانده، حيث قال ضمن كلامه: " وما الشر إن لم يلق شرًا بآيب " والذل لم يشرع لنا في موطن"^(٥٦)

ويهمنا من هذه الرسالة الشاهد الثاني، وأما الشاهد الأول فسيتم التطرق إليه في الصورة الرابعة، والشاهد (والذل لم يشرع لنا في موطن)، وهو صدر بيت للإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، من منظومة جوهر النظام، حيث قال:

والذل لم يُشرع لنا في موطن .. وما الذليل عندنا بمؤمن^(٥٧)

ومن خلال سياق الرسالة يظهر أن الدلالة تشير إلى الشجاعة والإقدام، ونبذ الخوف والخضوع للأعداء.

وكتب الإمام رسالة جوابية لأحد رجال دولته، ساق فيها حديثا طويلاً، ومن ضمن ما جاء فيها:

(٥٢) الكرم، عبدالعزيز. ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ١٩٩٨، (ط١)، ص ٧.

(٥٣) الخليلي، مراسلات مرقونة، (مرجع سابق)، ص ٣٣٢.

(٥٤) مجموعة من الباحثين. (٢٠١٤). ملتقى أهل اللغة، نسخة المكتبة الشاملة، ٢٠١٤، ج٧، ص. ١٤١.

(٥٥) المرجع السابق، ج٧، ص. ١٤١.

(٥٦) الخليلي، مراسلات مرقونة، (مرجع سابق)، ص ٣٤٢.

(٥٧) السالمي، عبدالله بن حميد. جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام. وزارة الأوقاف الشؤون الدينية، سلطنة عمان: ٢٠١٦، ص ١٥٠.

"ويقال: لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله"^(٥٨).

والشاهد بيتٌ يُنسب لأبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٨هـ)، وهو من القصيدة التي استهلها بـ (يا أيها الرجلُ المعلمُ غيره)، حيث قال في البيت الخامس:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله .. عار عليك إذا فعلت عظيم^(٥٩)

والدلالة من خلال السياق تشير إلى دعوة إلى التمثّل بالُمثّل العليا، وأن يكون العمل موافقا للقول، لا مخالفا له.

ووجه الإمام رسالة إلى الشيخ سليمان بن عبدالله الباروني اللبي، جاء ضمن الرسالة: "فإننا نحمد الله إليك لا زلت أخانا محافظا شرف حريتك، ساعيا في عز استقلال بلادك، ألا وإن أعلام مجدك منشورة، وسيوف عدلك مشهورة، فلله درك حيث أنت (هكذا هكذا وإلا فلا لا)، الداعي لتحرير الكتاب إليك بعد إهداء السلام والتحية والإكرام.." ^(٦٠)، الشاهد المضمّن في الرسالة هو عجز البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدته التي يمدح فيها سيف الدولة حيث قال في مستهلها: ذي المعالي فليعلمون من تعالى .. هكذا هكذا وإلا فلا لا ^(٦١)

وقد ضمّن هذا الشطر أيضا الشاعر اللبناني ناصيف اليازجي (ت: ١٢٨٧هـ)، واستهل به قصيدة رائعة، مدح فيها خورشيد باشا، والي صيدا آنذاك، بمناسبة موافقته على إمداده لطباعة مؤلفاته، حيث قال في مستهلها:

هكذا هكذا وإلا فلا لا .. ليس كل الرجال تُدعى رجالا^(٦٢)

ويظهر أن سياق خطاب الإمام يشير إلى مديح للشيخ الباروني، وقد تقدّم قوله (فلله درك)، وهو أسلوب مدح

وفي أحد جوابات الإمام قال: "أما المؤمنون فيريحهم ما يجدونه من الروح عند تذكّر ما يقابل ذلك من الإلتاف والفراق

يهون علينا أن تصاب نفوسنا .. وتسلم أعراضُ لنا وعقول

ومن يعشق يلذ له الغرام"^(٦٣)

في هذه الجزئية من الرسالة شاهدين، تم تناول الشاهد الأول في موضع آخر، ويناسب هذه الصورة الشاهد الثاني: (ومن يعشق يلذ له الغرام)، وهو عجز بيت لأبي الطيب المتنبي، من

^(٥٨) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ٢٣.
^(٥٩) شُرّاب، محمد حسن. شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية. (ط١). مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٧، ج ٣، ص ٢١.

^(٦٠) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ٤٩.

^(٦١) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ٩٢٦.

^(٦٢) اليازجي، ناصيف. ديوان الشيخ ناصيف اليازجي (ثالث القمرين)، لبنان، المطبعة الأدبية، ١٩٠٣، ص ٢.

^(٦٣) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ١١٢.

القصيدة التي استهلها بـ (فؤاد ما تسليّ المدام)، حيث قال في البيت الثالث والعشرين:
تلدُّ له المروءة وهي تؤذي .. ومن يعشق يلذّله الغرام^(٦٤)

من خلال السياق، يظهر أن الشاهد الثاني مرتبط بالشاهد الأول، وكأن الشاهد الثاني جاء مستدركاً للشاهد الأول ومكملاً، وقد أضاف صورة جمالية للرسالة.

وقال الإمام لبعض رجال دولته: "واعلموا أن قول ابن النظر: (نحن الإباضيين أسد الغيطل) ينبغي أن يصدق في المقال، ولا يكون دعوى بحث"^(٦٥)، والشاهد من نظم الشيخ ابن النظر (ق: ٦هـ)، من قصيدته اللامية التي استهلها بـ (آمنت بالله الوهوب المفضل)، حيث قال:

نحن الإباضيون أسدُ الغيطل .. أسد عرين زأرت لأشبل

ننازل الأبطال تحت الأسل .. وتحت قسطال الخميس الغيطل^(٦٦)

وسياق نص الخطاب يشير إلى دعوة إلى الشجاعة والإقدام وعدم التخاذل، وهي الدلالة التي يشير إليها الشاعر في الشاهد.

الصورة الرابعة: يستشهد بشطر بيت فيسوقه مع تصرّف في مبناه.

في هذه الصورة يستشهد الإمام بشطر بيت فيتصرّف في جزء منه بما لا يخل بمعناه، وقد توصّلت الدراسة إلى ستة شواهد، ومن ذلك ما ورد في رسالته لأحد ولاته، يدعوه فيها بالقيام على أحد القبائل المعانده، حيث قال ضمن كلامه: "وما الشر إن لم يلق شراً بأيّ"^(٦٧)، فالشاهد الأول منسوب إلى الشيخ إبراهيم بن قيس الحضرمي (ت: ٤٧٥هـ)، وأصل البيت من قصيدته (أحاول بالأقلام وعظ الأعاند)، حيث قال في البيت الثالث:

ورمت لهم خفض الجناح تكراً .. وما الشر إن لم يلق شراً بخامد^(٦٨)

وسياق نص خطاب الإمام يشير إلى أن العدو لا تخمد نار شرّه إلّا بالشدة والمواجهة، أما السكوت عنه يزيد من شرّه.

وأرسل الإمام إلى أحد رجال دولته، قال في رسالته: "سلام عليك ورحمة الله. وبعد؛ كتابك وصلني وفهمته، وذكرت مُعارفَكَ لزهران، وأنت رأيت منه الجميل، فهو أهلٌ لذلك. (وما المرء إلّا حيث يُنزل نفسه)"^(٦٩)

والشاهد من قصيدة قالها علي بن أبي طالب ناصحاً ابنه الحسن، مستهله بقوله: (تردّ رداء الصبر

^(٦٤) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ١٢٤٤.

^(٦٥) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ٢٠.

^(٦٦) أطفيش، محمد بن يوسف. شرح لامية ابن النظر. ص ٥٩ - وفي شرح الشيخ أطفيش، ذكر صحة كتابتها (الإباضيين) كما هو في استشهاد الإمام.

^(٦٧) الخليلي، محمد بن عبدالله. مراسلات مرقونة. ص ٣٤٢.

^(٦٨) الحضرمي، إبراهيم بن قيس. ديوان الإمام الحضرمي. تحقيق بدر بن هلال اليعمدي: ٢٠٠٢، ص ١٧١.

^(٦٩) الخليلي، محمد بن عبدالله. مراسلات مرقونة، (مرجع سابق)، ص ٢٩٧.

عند النوايب)، حيث قال في البيت الخامس:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه .. فكن طالبا في الناس أعلى المراتب^(٧٠)

ويظهر من خلال النصّ الأصلي ونص الخطاب ، أن الإمام تصرّف في البيت فوضع (يُنزلُ) مكان (يجعلُ)، ومن خلال السياق يظهر تطابق الدلالة بين سياق النصّ الأصلي وسياق نصّ خطاب الإمام، حيث يُفهم من البيت أن الإنسان يعامله الناس ويُزلونه بقدر ما يظهر لهم من أخلاقه وتعامله، وهو الذي يشير إليه سياق كلام الإمام.

وكتب الإمام رسالة نصيحة، وجهها إلى أحد الناس قال فيها: "وأولاد حميد فضلهم ومعروفهم لا يُنكر (وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها)"^(٧١)، والشاهد لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة التعزية التي استهلها ب (لا يحزن الله الأمير فإني)، حيث قال في آخر القصيدة:

وفي تعب من يحسد الشمس نورها .. ويجهد أن يأتي لها بضرب^(٧٢)

وظهرتصرّف الإمام في الشاهد بإبدال (نورها) ب (ضوءها)، وسياق الشاهد في الرسالة يشير إلى الوفاء الذي يكتّه الإمام لأولاد حميد المذكورين في الرسالة.

ولام بعض أهل بلدة (محرم) -مسقط رأس الإمام - الإمام على بيع ماله الذي يملكه فيها، وكأنهم أشاروا إلى أنه تخلى عن بلاده، فردّ عليهم الإمام مبيّنا الأسباب، وكتب في يساق الرسالة: "هي أول بلاد مس جلدي ترابها"^(٧٣)، والشاهد عجز بيت يُنسب لامرأة من العرب، وقد رواه عنها عبدالله بن درستويه (ت: ٣٤٧هـ) ، وأصل الشاهد بيتين وهما:

أحب بلاد الله ما بين منعجٍ .. إليّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلادٌ بها حل الشباب تمائي .. وأول أرض مس جلدي ترابها^(٧٤)

وقد تصرّف الإمام في الشاهد، فأبدل (أرض) ب (بلاد)، والدلالة حسب السياق، هي شهادة وفاء من الإمام لبلاده ومسقط رأسه.

ولوّم بعضهم الإمام على كثرة الإنفاق من بيت مال المسلمين فرد عليه: "ما أنفقناه في هوى، وإنما أنفقناه في مصالح المسلمين، (فإن مت عطشانا فلا نزل القطرُ)، وكأني وقد أتى من بعدنا من يأكله خضما وقضما"^(٧٥)

في هذه الرسالة شاهد من الشعر، (فإن مت عطشانا فلا نزل القطرُ)، يُنسب لأبي فراس الحمداني،

(٧٠) الكرم، ديوان علي بن أبي طالب، (مرجع سابق)، ص ١٥.

(٧١) الخليلي، الفتح الجليل، (مرجع سابق)، ص ٣٠.

(٧٢) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، (مرجع سابق)، ص ١٦٣.

(٧٣) الراشدي، أخبار ومراسلات الأئمة المتأخرين، (مرجع سابق)، ص ٧٧.

(٧٤) الحاتمي، محمد بن الحسن. حلية المحاضر. ص ٦٢.

(٧٥) الحارثي، اللؤلؤ الرطب، (مرجع سابق)، ص ١٩٤.

من قصيدته الموسومة بـ (أراك عصي الده شيمتك الصبر) إلا أن الإمام تصرّف في مبناه فأبدل (ضمئانا) بـ (عطشانا)، والشاهد كما في القصيدة:

معلتي بالوصل والموت دونه .. إذا مت ظمئانا فلا نزل القطر^(٧٦)

ومما يقال في شرح هذا البيت انه يشير إلى العزم والإقدام، وقاله الشاعر وهو يحمل نزعة قتالية، وسياق استشهاد الإمام به يشير إلى إصراره على ذلك الإنفاق، ولا يهاب عواقبه.

الصورة الخامسة: يستشهد بجزء من شطر بيت؛ إشارة إلى بيت من الشعر.

في هذه الصورة يضمن الإمام في كلامه كلمات تشير إلى شاهد من الشعر، وهذه الصورة هي أقل الصور استخدامًا لدى الإمام، كقوله لأحد ولاته: "وإني أظنّ أنّ ذا الغنى والتوسّع تنشأ نفسه على حبّ الرضاع، ونعم المرضعة وبئس الفاطمة"، ففي هذه الرسالة تضمنين لأكثر من شاهد، فقوله (حب الرضاع) يبدو أنها إشارة إلى قول البوصيري في برده:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على .. حبّ الرضاع وإن تطفمه ينفطم^(٧٧)

وسياق النصّ يشير إلى أن الإنسان إذا تعوّد على أمر يصعب عليه تركه، كالطفل المتعوّد على الرضاع، لا يبادر في الفطام إلا إذا أُجبر على تركه، ويشير من خلال السياق إلى شخص تعوّد على الترف والرفاهية.

والجزء الآخر، (ونعم المرضعة وبئس الفاطمة) اقتباس من قول النبي ﷺ: "إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكون ندامةً وحسرةً، فنعمتِ المرضعة وبئستِ الفاطمة" (النسائي: ٤٢٢٢).

والرسالة التالية، تحتوي على إشارات إلى شواهد شعرية، ضمنه الإمام في درج كلامه، حيث قال: "وبالجملة الناس يتفاوتون أدبا ودينا وأخلاقا، وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه، والرجال متاريس مقفلة، والتجارب مفاتيحها"^(٧٨)

فالإشارة الأولى (وقيمة كل امرئ ما يحسنه) يظهر أنها تشير إلى قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصيدته التي استهلّها بقوله (ما الفخر إلا لأهل العلم)، والبيت كما في أصل الشاهد:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه .. والجاهلون لأهل العلم أعداء^(٧٩)

وبعض المصادر توردها بلفظ (وقدر كل امرئ ما كان يحسنه)، إلا أنه في ديوان الإمام علي (وقيمة المرء ما قد كان يحسنه)، وبالجملة، سياق النصّ يشير إلى أن المرء يوزن بما يقدّمه من إحسان وحُسن خُلُق، أما المناصب والأموال فليس لها في ميزان الشرع قيمة، وسياق خطاب الإمام يشير

^(٧٦) الدهان، ديوان أبي فراس الحمداني، (مرجع سابق)، ج ٢. ص ٢١٠.

^(٧٧) البوصيري، محمد بن سعيد. ديوان البوصيري، نسخة المكتبة الشاملة، ص ٢٣٨.

^(٧٨) الخليلي، مراسلات مرقونة، (مرجع سابق)، ص ٤٢.

^(٧٩) الكرم، ديوان علي بن أبي طالب، (مرجع سابق)، ص ٧.

إلى صدر البيت ولا إشارة إلى ما يشير إليه عجز البيت.
والإشارة الثانية (الرجال متاريس مقفلة، والتجارب مفاتيحها) يظهر أنها تشير إلى القول المنسوب إلى الشبراوي (ت: ١١٧١هـ):

لا تمدحن امرأ حتى تجربّه .. ولا تذمّه من غير تجريب
إن الرجال صناديق مقفلة .. وما مفاتيحها إلا التجارب^(٨٠)

وسياق النص يشير إلى أن الناس بشكل عام لا تظهر معادنتهم إلا من خلال خوض التجارب معهم، ومن معاني كلمة (متاريس) في المعاجم أي مخازن، وهذه الدلالة لا تختلف عن دلالة النص الأصلي.

نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة من خلال استقصاء خطابات وجوابات الإمام محمد بن عبد الله الخليلي إلى التالي:

- تضمّنت خطابه وجواباته (٣٨) شاهداً من شواهد الشعر العربي، منها ما ضمّنه في درج كلامه ومنها جوابات مستقلة دون تعليق منه.
- ظهر تصرّف الإمام في مجموعة من الشواهد الشعرية، بلغت (١١) شاهداً، من أصل (٣٨) شاهداً، أي ما يمثل ٢٩% من مجوع الشواهد، وأورد الباقي كما هي دون تصرّف فيها.
- استشهد الإمام في خطابه وجواباته بصور متعددة، فمن الشواهد ما يوردها بيتاً كاملاً، وبلغ عددها (١٦) استشهداً، ومنها شطر بيت، وبلغ عددها (١٩) استشهداً، وبعضها جزء من شطر بيت، وبلغ عددها ثلاثة استشهادات، وقد تصرّف في بعضها، فأحدث في مبنائها تغييراً بسيطاً، وساق بعضها كما هي دون تغيير.
- استشهد الإمام بشعر (٢٦) شاعراً من عصور أدبية متعددة، وشاهدين مجهولة المصدر.
- حاز العصر العباسي المرتبة الأولى من جملة الشواهد التي أوردها الإمام في خطابه وجواباته، حيث بلغت (٢٠) شاهداً، وحازت الشواهد المنسوبة إلى المتنبي المرتبة العليا، إذ بلغت تسعة شواهد.

- لم يذكر الإمام مصدر الشاهد إلا في موضع واحد من أصل (٣٨) موضعاً.
- تطابقت معظم دلالات سياق خطاب الإمام مع دلالات سياق الشاعر في النص الأصلي.

التوصيات: من خلال ما توصّلت إليه الدراسة من نتائج توصي:

^(٨٠) السعدي، ياسين عبدالله. هدير الضمير. مقالة منشورة في مجلة دنيا الوطن الإلكترونية، أكتوبر ٢٠١٥ www.pulpit.alwatanvoice.com

- الاستفادة من مثل هذه الدراسة في صقل مهارات الحوار والتعبير، من خلال توظيف الاقتباس والتضمين لدى الطلبة في مؤسسات التربية والتعليم بمراحلها المتعددة.
- تشجيع طلبة العلم وعامة الناس على الاهتمام بمهارات الاقتباس والتضمين من خلال إقامة مسابقات مدعومة.
- التشجيع على إعداد دراسات مماثلة تتناول شخصيات علمية وقيادية من التاريخ العربي والإسلامي.

قائمة المراجع

- ابن الفارس، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). قاموس معايير اللغة، تحقيق وتجميع عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجبل.
- ابن المقري، إسماعيل. (د.ت.). ديوان ابن المقري. مخطوطة.
- ابن الخلكان، شمس الدين بن أحمد. (د.ت.). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت.). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم. (١٩٨٦). ديوان أبي العتاهية. بيروت: دار بيروت للنشر.
- أبو فراس الحمداني. الدهان، سامي. (١٩٤٤). ديوان أبي فراس الحمداني. بيروت: مكتبة الدكتور مروان العطية.
- البرقوقي، عبد الرحمن. (٢٠١٤). شرح ديوان المتنبي. القاهرة: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة.
- البيسيري، محمد بن سعيد. ديوان البسيري. نسخة المكتبة الشاملة.
- البيسوي، نوال محمد. (٢٠١٤). إفادة الطالبات باستخدام التعلم المدمج في تدريس التاريخ. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة المنصورة.
- البركاتي، نيفين بنت حمزة بن شرف. (٢٠١٤). فاعلية استخدام استراتيجية Jigsaw في تدريس الرياضيات على تحصيل طالبات الصف الخامس الابتدائي بمكة المكرمة. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، ٣٨ (٢)، ٦٨٤-٧٣١.
- البراقوقي، يحيى بن أحمد. (٢٠٠٩). أنوار الصالحين وإشراقات المحسنين. (بحث مرقون).
- الحدرمي، إبراهيم بن قيس. (٢٠٠٢). ديوان الإمام الحدرمي، تحقيق بدر بن هلال اليحمدي.
- الحاتمي، محمد بن الحسن. (د.ت.). زينة المحاضر.
- الحريثي، سعيد بن حمد. (٢٠١٣). اللآلئ المبللة تضيء خزائن القلب.
- الصالح، بدر بن سعيد. (٢٠٢٠). تشكيل شخصية القيادة في الفكر التربوي للإمام محمد بن عبد الله الخليلي. رسالة ماجستير، جامعة صُحار، سلطنة عمان.
- الصالح، عبد الله بن حميد. (٢٠١٦). جوهر النظام في علوم الشرائع والأحكام. سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
- السيّابي، عبد الله بن راشد. (٢٠١٧). قاموس القضاة العمانيين. سلطنة عمان: مكتبة الخزينة الأثرية.
- الشكرلي، إبراهيم بن محمد. (٢٠١٣). مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم.
- الشمري، زينب. (٢٠٠٨). فاعلية استراتيجيات العصف الذهني والتعلم التعاوني في تنمية مهارات التعبير الكتابي والتفكير الناقد لدى طلاب المرحلة الثانوية. مجلة القراءة والمعرفة، ٨٥، ٦٩-٤٠.

الشهابي، محمد بن عبد الله. (٢٠١٦). الفتح الجليل في أجوبة الإمام أبو الخليل. سلطنة عمان: ذاكرة عمان.

الشهابي، محمد بن عبد الله. (د.ت.). المراسلات المشهدة.

الرشيدي، يحيى بن ناصر. (١٤٠٦ هـ). أخبار ومراسلات الأئمة المتأخرين. مخطوطة.

الروسان، فاروق. (٢٠٠٠). مقدمة في اضطرابات اللغة. ط١. دار الزهراء للنشر والتوزيع.

الطبي، محمد بن يوسف. (د.ت.). شرح لامية ابن النذر. نسخة محققة.

الطائي، حاتم. (١٩٨١). ديوان حاتم الطائي. بيروت: دار صادر.

الطوقي، خالد بن محمد. (٢٠١٩). النفائس. سلطنة عمان: مكتبة نور الاستقامة تحف.

العزّاء، سعيد. (٢٠٠٢). صعوبات التعلم: المفهوم، التشخيص، الأسباب. الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع.

العربي، جماعة من الباحثين. (٢٠١٤). منتدى اللغويين. نسخة المكتبة الشاملة.

العثيق، عبد العزيز. (د.ت.). علم البديع. بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر.

العينوني، ابن المقرّب. (٢٠٠٢). ديوان ابن المقرّب العيوني وشرحه. تحقيق د. أحمد موسى الخطيب.

الميداني، أحمد بن محمد. (د.ت.). مجموعة الأمثال، تحقيق محمد محبي الدين. بيروت: دار المعرفة.

الوزري، حسين بن أحمد. (٢٠٠٢). شرح السبعة المعلقات. لبنان: إحياء التراث العربي.

الرّبيدي، مرتضى، والرّبيدي، محمد. (٢٠١٦). إتحاف السيد المتقين بشرح إحياء علوم الدين. لبنان: دار الكتب العلمية.

الياذجي، نصيف. (١٩٠٣). ديوان الشيخ نصيف الياذجي (الثالث من القمرين). بيروت: المطبعة الأدبية.

درويش، محي الدين. (١٩٩٢). التفريع وشرح القرآن الكريم. سوريا: دار ابن كثير.

عيد، محمد. (د.ت.). السرد والاستشهاد في اللغة. الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر.

الكرم، عبد العزيز. (١٩٩٨). ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الكندي، ماجد بن محمد. (٢٠٢٠). قطعة من السيرة الذاتية [فيديو]. تم الاسترجاع من :

www.youtube.be/cRbv3gvNY90